الانتماء أمن وأمان

وجهود المملكة العربية السعودية



جمع:
أ. هيفاء بنت عبدالله الرشيد


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فلا معبود بحق إلا الله، وغيره إن عُبدَ فبالباطل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لُقْمان:٣٠].

وأشهد أن مُحَّداً عبدُه ورسولُه، فهو عبدٌ لا يُعبد، ورسولٌ لا يُعصى، بل يُصدَق ويُتَّبَع، فيجب تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبدَ الله إلا بما شرع، وأن لا يُقدم على قوله قول أحد كائناً من كان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

أحمد الله ﷻ أن تفضَّل علي بالاجتماع بكن في هذا المكان، وأسأل الله ﷻ أن يجعل هذا الاجتماع عملاً متقبلاً مبروراً، وأن يثقل به موازين حسناتنا يوم أن نلقاه.

أخواتي الداعيات، والمراقبات الفاضلات:

يختص الله بعض عباده ويصطفيهم لخدمة الإسلام والمسلمين؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فقد خصكن الله من بين كثير من خلقه بالدعوة وبالإعانة على هذه المهمة العظيمة، فإن الدعوة إلى الله تعالى أصل عظيم من أصول الإسلام.

- الدعوة إلى الله تعالى أحسن كلمة تُقال في الأرض: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت:٣٣].

- والدعوة إلى الله تعالى سبب بقاء الخيرية في هذه الأمة: قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

- والدعوة إلى الله تعالى من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة: قال الله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٤].

- والدعاة إلى الله هم الرابحون يوم يخسر الخاسرون، وهم السعداء يوم يتحسر الأشقياء: قال الله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ*إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ*إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر:١ - ٣].

وهذه النصوص نقطة في بحر أهمية وفضل الدعوة إلى الله ﷻ، وبعد سماعنا لهذه النصوص؛ ألا ينبغي لنا أن نفرح ونسعد بفضل الله علينا؟ بأن وفقنا واختارنا واصطفانا للدعوة وتعليم الناس؟ فله الحمد وله الشكر كله، ونسأل الله دوام هذه النعمة، والنعم إن لم تشكر فرَّت، وإن شكرت قرت وأثمرت.

ثم الشكر موصول لوزارة الشئون الإسلامية، لكل القائمين عليها وعلى رأسهم معالي وزير الشئون الإسلامية الشيخ عبداللطيف آل الشيخ -حفظه الله-، فالشكر موصول للوزارة على اهتمامها ودعمها المتواصل في جميع مجالات الدعوة، وتكليف أعداد كبيرة من موظفين وموظفات لخدمة هذا الدين العظيم، فاحمدن الله تعالى أنكن جزء من هذا الصرح العظيم، ووفقكن الله لأداء هذه الأمانة التي أوُكلت لكن.

أولا وقبل كل شيء؛ أذكر نفسي وإياكن بنعمة التوحيد والسنة التي نحن نتقلب فيها، فهي نعمة عظيمة، وهي التي تأسست عليها هذه البلاد من أول يوم، بدعوة الإمامين الصالحين الإمام مُحَّد بن عبدالوهاب والإمام مُحَّد بن سعود -رحمهما الله رحمه واسعة-.

عندما تبايعا في عام ١١٥٧هـ على نصرة هذه الدعوة، وفي بيتٍ من بيوت أحد تلاميذ الإمام مُحَّد بن عبدالوهاب التقى الإمامان، وقام مُحَّد بن عبدالوهاب بتذكير الإمام

مُحَّد بن سعود بنعمة التوحيد وفضل الدعوة إليها والذب عنها، فأخبره الإمام مُحَّد بن سعود بأنه سينصره وقال له: "أخشى يا شيخ مُحَّد إن نصرك الله وأظهرك أن تذهب وتتركنا"؛ فقال له الإمام مُحَّد بن عبدالوهاب: "أمدد يدك"، فمد يده وقال له: "الدم بالدم والهدم بالهدم".

فمن تلك اللحظة قامت دعوة التوحيد، تعليماً وتدريساً ودعوةً في الدرعية، وعانى أئمة التوحيد والسنة لنشرها أشد المعاناة، وقُتل منهم من قُتل من أجل تحقيق التوحيد ونشر السنة، وجاهدوا في الله حق جهاده حتى بارك الله فيها، فانتشر التوحيد من الدرعية إلى جميع مناطق المملكة العربية السعودية، بل تعداها ووصلت هذه الدعوة المباركة إلى جميع أقطار العالم الإسلامي ولله الحمد والفضل والمنة.

أنا وأنتن يا أخواتي في الله، حالنا كحال الطفل الصغير الذي وُلِد في بيت أو قصر، لا يدري كم تعب والده في بناء هذا البيت، وكم استدان من الأموال لبنائه، وكم انفق فيه، وكم بذل من جهد لأجل أن يكون هذا البيت قائم ومتكامل، وإنما ولد هذا الطفل ووجد نفسه في بيت جميل كامل آمن يؤويه، ووجد نفسه في رفاهية دون أي عناء أو تعب؛ فنحن كذلك، ولدنا في أرض هذا الوطن ووجدنا أنفسنا نتقلب في ظلال هذه النعم العظيمة، نعمة الأمن والأمان، نعمة التوحيد والسنة، فأقل ما يمكن أن نفعله؛ أن ندعوا لهؤلاء الرجال والأئمة الكرام، ونقول اللهم اجزهم عنا خير الجزاء، وأيضاً أن نحافظ على هذه النعمة من الزوال، ومن العيب ومن المؤلم أن ينفق أولئك الرجال أموالهم وأنفسهم وكل غالٍ ونفيس، لإقامة هذا الصرح العظيم، صرح التوحيد والسنة ونحن لا نستشعر ولا نعترف ولا نشكر ولا نحمد الله.

فالتذكير بهذه النعمة يا أخواتي المستمعات ليس مستحب فحسب، بل هو أمر واجب كما قال سبحانه: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً** ﴾ [آل عمران:١٠٣].، يعني ألف الله بين قلوبنا بهذه النعمة بالتوحيد، ولولا هذه النعمة والاجتماع على التوحيد ما اجتمعنا. ثم قال: ﴿**اذكروا**﴾ وهنا أمر، والأمر يستلزم الوجوب، يعني نأثم إذا لم نتذاكر هذه النعمة، فأين ذكر هذه النعمة في مجالسنا؟ للأسف لا نكاد نسمع في مجالس اليوم ذكر مثل هذه النعم حتى نشكرها!. قال جل مِن قائل: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾. فكيف تزيد النعمة ونحن لم نشكرها بل حتى لم نذكرها؟! النعم يا أخواتي إذا ذكرت وشكرت قرت، وإذا نسيت وكفرت فرت.

سأتطرق اليوم إلى عدة محاور مهمة على وجه الاختصار لضيق الوقت:

- المحور الأول: لزوم الجماعة:

كيف يتحقق؟ يتحقق لزوم الجماعة بلزوم إمامها وولي أمرها، بالالتفاف على ولاة أمرها، كما قال ﷺ عندما سأله حذيفة رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ:

«هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»[1].

إن اجتماع الكلمة على ولاية شرعية واحدة مؤتلفة ملتفة حول قيادتها وولاة أمرها نعمة عظيمة مِن الله تعالى، فعلينا شكرها وذكرها وتذاكرها بيننا كما أمرنا الله ﷻ.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:"-وجوب تذكر نعمة الله- وهذه مسألة مهمة؛ لأن الغفلة عن تذكر النعمة يستلزم الغفلة عن الشكر والشكر واجب"[2].

وقال ﷺ: «**لا يَشْكُرُ اللهَ مَن لا يَشْكُرُ الناسَ**»[3]، وفي لفظ: «**من لم يشكرِ النَّاسَ لم يشكرِ اللَّهَ**»[4]. فالشكر للناس واجب على تفاوت حقوقهم وتنوع إحسانهم، ومن أعظمهم حقاً وأوجبهم شكراً مستحَقَاً هم ولاة أمر المسلمين؛ لعظيم إحسانهم للناس من تأمين السبل وإقامة العدل وغير ذلك، وكما قال أحدهم:

لولا الائمةُ لم تأمنْ لنا سُبلٌ وكان أضعفُنا نهبًا لأقوانا

وعلى وجه أخص ولاة أمر هذه البلاد: المملكة العربية السعودية —حرسها الله وحماها من الشرور والفتن— الذين هم خير ولاة الدنيا اليوم، لا نقولها عصبية بل عن علم ودليل وبرهان، فهذه البلاد مهبط الوحي، ومنطلق رسالة الهداية والرحمة للعالم، أفضل بلاد الدنيا وخير بقاعها على الإطلاق.

١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، (ح/٣٦٠٦). ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، (ح/ ١٨٤٧).

٢- تفسير سورة آل عمران (٦٠٢/١).

٣- رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، (ح/٤٨١١)، ورواه أحمد في مسنده (٦١/٨) (ح/٧٩٢٦).

٤- رواه أحمد في مسنده (٢٩٥/٧) (ح/٧٤٩٥).

إذاً فما الذي يجب علينا فعله تجاه وطننا هذا الذي نعيش فوق أرضه:

١-قياماً بواجب شرعي وهو الشكر كما تقدم.

٢-تذكيراً لأنفسنا وأبنائنا بجهود مملكتهم وولاة أمرهم؛ حتى يعرفوا الفضل لذي الفضل والحق لأهله.

٣-نرد على ما يكتبه وينشره أعداء النعمة ومنكرو الإحسان في الخارج ومن تجاوب معهم من الداخل، فهناك من أبناء هذا الوطن من تلوث فكره ورؤيته للأمور، حتى أصبح الكثير منهم لا يرى إلا بعيونهم العمياء أو العوراء، ولا يتكلم إلا بألسنتهم الظالمة التي هي عن ذكر الجميل والحق خرساء.

وهؤلاء أصناف وفرق ضالة ومُضِلة مختلفون في عقائدهم وتوجهاتهم ولكنهم تجمعهم العداوة والحرب لهذه البلاد ولولاة أمرها، والسعي فيما يزعزع أمنها واستقرارها، ويهدد وحدتها وانسجامها، خيب الله سعيهم ورد كيدهم في نحرهم وأبطل مساعيهم، اللهم آمين.

لذلك كان الشيخ بن باز -رحمه الله- يقول: "العداء لهذه الدولة عداء للحق عداء للتوحيد"، وهذا من عمق استنباطه؛ لأن دولة قامت على التوحيد، المفروض أن تحب لا أن تبغض، فمن أبغضها وحاربها فهذا دليل على أنه يبغض التوحيد والسنة، نسأل الله أن يهدي ضال الأمة.

- المحور الثاني: جهود المملكة العربية السعودية:

وفي الحقيقة أننا لو قلنا "من جهود" فلن نفي بها فكيف وعنوان المحور أعم؟ فلنتكلم منصفين صادقين عن بعض جهود المملكة الحبيبة، مملكة التوحيد والسنة، مملكة الرحمة، مملكة الاعتدال والعدل والوسطية، مملكة البر والإحسان للقريب والبعيد، مملكة العلم

والعمل في الدين والدنيا، مملكة التقدم والتطور في جميع المجالات (الاقتصادية والعسكرية والطبية والتقنية) حتى علت على كثير من الدول الكبرى في ذلك.

ولم يكن خيرها قاصراً عليها، نعم، خيرها سخرته الدولة حفظها الله لصالح مواطنيها ورعيتها وشعبها أولاً، ثم كل من اتصل بها في الداخل والخارج، في الداخل من مقيم أو زائر، وفي الخارج على مستوى دول وشعوب وأفراد وأسر وصلها خير المملكة وإحسانها، فحق لنا أن نفخر ونعتز بها.

لو جمعنا فقط ما تحدث بها غير أبنائها -غير السعوديين- من المنصفين في العالم الإسلامي واستمعنا إليهم لما استوعبنا شهاداتهم -المسموعة منها والمقروءة- الصادقة من واقعهم وباختيارهم لهذه البلاد الكريمة.

فيا عجباً من بعض أبنائها -للأسف الشديد- ممن يعيش على أرضها ويأكل من خيراتها لكن أعمى الله بصره بل وبصيرته، فأصبح يحارب التوحيد والسنة باسم الإسلام! ولا يُستغرب وجود الجاحدين الحاقدين!

فمن نظر أحوال الأمم التي قصها الله مع أنبيائهم عرف أن بعض النفوس مشحونة بالكبر والعناد والحقد، تجحد الحقائق الواضحة والبراهين القاطعة، فمثلاً قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ [النمل: ١٤].

فالمملكة العربية السعودية منذ توحيد هذه البلاد وتأسيسها -على يد الإمام الملك الهمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله وطيب ثراه وجعل الجنة مثوانا ومثواه-؛ جعلت من أهدافها وأولوياتها ومهامها نشر الإسلام الصحيح، ونفع المسلمين، والوقوف بجانبهم في كل مكان.

وهكذا حمل الراية واللواء من بعده أبناؤه الملوك سعود وفيصل وخالد وفهد وعبدالله -رحمهم الله رحمة واسعة-، حتى عهد إمامنا وولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده الهمام الأمير مُحَمَّد بن سلمان وفقهما الله وسددهما وجزاهما الله خير الجزاء وبارك في جهودهما وأعمالهما فلله الحمد والشكر والمنة وجزاهم الله عنا جميعاً خير الجزاء.

فهذه المملكة قامت على التوحيد وحاربت الشرك والخرافات، فليس فيها -ولله الحمد- وثن يعبد، ولا ضريح من دون الله يقصد، أسألكن بالله أليس هذه من أعظم النعم؟ هذه البلاد علمت أبناءها والطلاب الدارسين فيها توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته من أُولى مراحل التعليم حتى التخرج من الجامعات؛ كيف لا وهي دولة الإسلام، ودستورها الكتاب والسنة، أسألكن بالله أليس هذه نعمة عظيمة؟

ففي النظام الأساسي للحكم: المادة الثالثة عشرة: "يهدف التعليم إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء، وإكسابهم المعارف والمهارات، وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين في بناء مجتمعهم، محبين لوطنهم، معتزين بتاريخه".

وفيه: المادة الثالثة والعشرون: "تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله".

وفيه: المادة الرابعة والثلاثون: "الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والمجتمع، والوطن واجب على كل مواطن".

وفيه: المادة التاسعة والثلاثون: "الأسرة، هي نواة المجتمع السعودي، ويربى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية، وما تقتضيه من الولاء والطاعة لله، ولرسوله، ولأولي الأمر، واحترام النظام وتنفيذه، وحب الوطن، والاعتزاز به وبتاريخه المجيد".

نشرت هذه الدولة المباركة كتب التوحيد والعقيدة الصحيحة لعلماء السنة والإسلام في القديم والحديث، ووزعتها في دول العالم كله، وبلغات العالم، وكان توزيعها إما داخل المملكة على الوافدين إليها وضيوفها من مقيمين وحجاج ومعتمرين وزوار وسائحين، أو بعثها إلى الخارج، فلله الحمد والفضل والمنة.

-ومن جهود هذه المملكة الواضحة الجلية التي لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته: جهودها في الصلاة وإقامتها والدعوة إليها والمحافظة عليها، وعمران المساجد في عموم البلاد، حتى في المؤسسات الحكومية والوزارات والأحياء والمخططات السكنية.

وأما أعظم وأشرف مساجد الدنيا على الإطلاق المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة النبوية فما عسانا نقول أو نذكر؟

١- ولي أمرنا لقب نفسه بـ "خادم الحرمين الشريفين".

٢- وللمسجدين رئاسة خاصة تقوم بعمل دؤوب، وإنجازات مبهرة من التوسعات والرعاية لم يحصل على مَر التاريخ ما حصل في العهد السعودي في ظل ولاة أمر وملوك جعلوا خدمة بيت الله ومسجد رسول الله ﷺ من أعظمِ أعمالهم ومن أجلِّ ما يتقربون به إلى الله تعالى، جهود جبارة في خدمة المسلمين القاصدين إليهما من حجاج ومعتمرين وزائرين، طرقٌ ممهدةٌ، وأمن وأمان، وخدمات سكنية وطبية عالية، فلله الحمد وله الشكر، ثم الشكر لهم، ولهم منا الدعاء والثناء.

-ومن جهود المملكة في الحفاظ على العقيدة الإسلامية عقيدة السلف الصالح، أقامت مؤتمر "جهود المملكة العربية السعودية في ترسيخ وتأصيل منهج أهل السنة والجماعة" فرعى صاحب السمو الملكي الأمير مُحَمَّد بن سلمان بن عبدالعزيز ولي العهد هذا

المؤتمر الذي نظمته جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية خلال النصف الثاني من شهر جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ.

-ومن جهودها الجبارة الوزارات في المملكة: ومنها -وزارة الحج والعمرة- الوزارة المعنية بالعمل على ارتقاء الخدمات المقدمة للحجاج والمعتمرين باستخدام التقنية الحديثة، وتسهيل الحج والعمرة بالتنسيق مع كافة الجهات، وكل سنة في الحج تظهر الجهود العظيمة في خدمة الحجاج صحياً وأمنياً وتعليماً منذ أن تطأ أقدامهم هذه الأرض الطاهرة حتى يعودوا إلى أوطانهم.

-وجهود المملكة العربية السعودية في أركان الإسلامية (عقيدة وعبادة وشريعة) لا نظير لها منذ قرون عدة، ولله الحمد، وجزاهم الله خيراً.

والكل يعلم بأن المصدر للإسلام هو القرآن والسنة وبفهم آثار الصحابة والأئمة رحمهم الله، والمملكة أعلنت في نظامها الأساسي للحكم أنها تُحَكِّم الكتابَ والسنةَ، وأعلن ذلك ملوكها من الإمام الملك المؤسس عبدالعزيز رحمه الله إلى عهد ولي أمرنا ملك الحزم والعزم الملك سلمان حفظه الله ورعاه، وكلماتهم في هذا كثيرة مشهورة ومشكورة، أعلنوها في جميع المحافل وعلى جميع الوسائل للداخل والخارج، وأنهم على عقيدة التوحيد، وأنهم على عقيدة السلف الصالح، عقيدة الإسلام الصافي الخالي من كل شوب وكدر.

ففي النظام الأساسي للحكم المادة الأولى:

"المملكة العربية السعودية، دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولغتها هي اللغة العربية، وعاصمتها مدينة الرياض".

فأما جهودها تجاه القرآن؛ فواضحة سواء من ناحية التحكيم له أو من ناحية الاهتمام بطباعته وترجمته ترجمة موثوقة بلغات عدة وتوزيعه في العالم، ويكفي هنا أن نشير إلى مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (مصحف المدينة النبوية)، بدأ المجمَّع بتوزيع إصداراته من المصاحف، والتَّسجيلات، والأجزاء، وربع يس، والعشر الأخير، والتَّرجمات، والكتب منذ عام (١٤٠٥هـ) على المسلمين داخل المملكة وخارجها في مختلف أرجاء العالم، وزادت الكميات الموزعة على (٣١٧) مليون نسخة حتى عام (١٤٤٠هـ).

أليس هذا فخر لنا نحن ونعمة عظمى لنا جميعاً؟ واطلعن بأنفسكن على معلومات أكثر في الموقع الرسمي للمجمع –هذا الصرح العملاق الباهر الفريد– في خدمة كتاب الله تعالى وما يتعلق به من ترجمة وكتب التفسير وغيرها من علوم القرآن.

–وأما العناية بتحفيظه فمن خلال جمعيات التحفيظ ومدارس التحفيظ، فتخرج مئات الآلاف –إن لم يكونوا بالملايين– من حُفاظ كتاب الله من الجنسين الذكور والاناث ومن المواطنين والمقيمين.

–وإقامة المسابقات المحلية والعالمية لحفظ القرآن الكريم، مثل: مسابقة الملك عبدالعزيز العالمية، ومسابقة الملك سلمان للقرآن الكريم.

أما عناية المملكة العربية السعودية بالسنة فأيضاً معروفة ومشهودة، منها:

–جائزة الأمير نايف العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة.

–مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف، والذي مقره المدينة النبوية، وللمجمع مجلس علمي يضم صفوة من علماء الحديث الشريف، نسأل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين ويضاعف له الأجر.

-من جهودها إنشاء الإدارة العامة للبحوث العلمية والإفتاء: عُين فيها نخبة من أهل العلم ليجيبوا عن أسئلة السائلين، مشافهة أو مكاتبة أو مراسلة من جميع أنحاء العالم، مع توزيع ونشر الكتب الشرعية، وأعضاء في الإفتاء يستقبلون الناس من المواطنين والمقيمين لإرشادهم وتوجيههم.

-وهيئة كبار العلماء؛ والتي تجتمع لتنظر في أمور المسلمين وتعالج مشاكلهم، وتصدر البيانات والقرارات في النوازل والمسائل التي يحتاجها المسلمون في حياتهم وعباداتهم وعلاقاتهم مع الاخرين.

-من جهودها تسخير الإمكانات الإعلامية للدعوة إلى الإسلام:

-كإذاعة القرآن الكريم: وخاصة برنامجها "نور على الدرب"، والذي قيل فيه: "لم يستمر تسجيل برنامج تلفزيوني أو إذاعي عبر المحطات العالمية أكثر من ٤٠ سنة، إلا برنامج نور على الدرب"، وما زال يقدم حلقاته إلى الآن. وهذا البرنامج الذي يقوم على استضافة أعضاء من هيئة كبار العلماء، يجيبون على أسئلة المتصلين وتوجيه النصائح لهم، والحمد لله فإنه يلقى إقبالاً كبيراً من شتى بلدان العالم، نظراً لقناعة المسلمين بعلماء هذه البلاد ولله الحمد.

فكم هدى الله به من ضال، وعلم من جاهل، وأيقظ من غافل، ورد على مبطل، فجزى الله ولاة أمرنا وعلماءنا خير الجزاء.

-وقناة القرآن الكريم التي تبث مباشرة من المسجد الحرام مع القراءات للقرآن.

-وقناة السنة النبوية والتي تبث ٢٤ ساعة مباشر من المسجد النبوي الشريف، وإسماع المسلمين أحاديث نبيهم ﷺ من الصحيحين وغيرهما.

وهذه -كما ذكرت لكُنَّ سابقاً- إشارات وإضاءات فقط لجهودها، ولن نفي ولن يسمح الوقت لنا إلا على ذكر أقل من القليل، بل نقطة في بحر جهودها وإنجازاتها.

حبيباتي؛ هذه هي المملكة العربية السعودية؛ مملكة الدعوة والدولة ومملكة الإسلام والوسطية، وهذه جهودها يراها ويسمعها العالم بأسره، ولكن هذه الجهود والإنجازات لا يذكرها ولا يشكرها إلا من أصلح الله قلبه، وأنار الله بصيرته، ومن سَلَّمه الله من سموم دعاة الشر والفساد لبعض الفرق الضالة، التي أزاغت قلوب وفِطر البعض، ودست لهم السم بالعسل، للأسف شربه بعض الجهال فغرقوا في وحلهم، وصاروا مثلهم يرون الحق باطلاً والباطل حقاً، والله المستعان.

لذلك سأتكلم عن المحور الثالث والمهم أيضاً وهو:

- المحور الثالث: الإرهاب أو الفرق الضالة:

ونحن في أشد الحاجة للتكلم عن هذا المحور، ونحن بحاجة ماسة إلى نشر الوسطية الصحيحة، لماذا؟ لكثرة المتعالمين الذين ينادون ويدعون الناس إلى خلاف الشريعة المحمدية المتسمة بالوسطية، هؤلاء المتعالمون أو أئمة الضلال يدعون الناس -وخاصةً حدثاء الأسنان- إلى الغلو والتطرف وسفك الدماء والتخريب أعاذنا الله وذرياتنا منهم.

من أين أتت هذه الدعوات أو كيف انتشرت تلك الأحزاب أو تلك الجماعات؟

حين تخلى الناس عن العلم والعلماء واتخذوا رؤوساً جهالاً من أصحاب الأهواء يسألونهم ويقتدون بهم، ويستفتونهم في أمور عظيمة لو سُئِل عنها عمرُ بن الخطاب لجَمَع لها الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا الذي حذرَ منه نبينا المصطفى ﷺ، ففي الصحيحين -واللفظ لمسلم- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنَّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُهُ منَ النَّاسِ، ولَكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العُلماءِ، حتَّى إذا لم يترُك عالمًا اتَّخذَ النَّاسُ رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئلوا فأفتوا بغيرِ عِلمٍ فضلُّوا وأضلُّوا»[1].

خاف علينا منهم رسولنا ﷺ قائلاً لنا: **«أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ»**[2].

من الذي سماهم بالأئمة المضلين؟ رسولنا الكريم مُحَمَّد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، لأن ضَلَالُ هؤلاء ضلال لأمم من وراءهم، هؤلاء يفسدون الناس بفتاويهم المخالفة للشريعة، وللأسف هناك من ينغر فيهم لأن ظاهرهم فيه الصلاح وباطنهم فيه الفساد.

هم الدُّعاةُ إلى البدع والضلالات عن طريق تحريفِ نصوص شريعة الله، والكذبِ على العلم والعلماء، والقولِ في دين الله بالهوى لا الأدلة، والتلبيسِ والتدليس في أحكام شريعة الله.

الأئمة المضلون هم الخطر على الأمة وليس الدجال! لماذا؟ لأنهم ألبسوا على الناس دينهم، لأنهم جعلوا بين الناس وعلمائهم الربانيين السائرين على هدي المرسلين فجوة، طعنوا في العلماء الأكابر ووصفوهم بأقبح الأوصاف، قالوا عنهم متشددين، أو علماء حيض ونفاس، أو قالوا عنهم مباحث واستخبارات، أو قالوا عنهم جامية عاملهم الله بما يستحقون.

وهذا ليس بغريب، فقد قالوا من قبل عن رسولنا لما جاء بالحق، قالوا عنه ساحر ومجنون، قالوا عنه شاعر وكذاب قبحهم الله، مع أنهم قبل أن يأتي بالحق ﷺ كانوا يلقبونه

١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، (ح/١٠٠)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (ح/٢٦٧٣).

٢- رواه أحمد في مسنده (٤٥/٤٧٨) (ح/٢٧٤٨٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٨٢) وصحيح الجامع (١٥٥١).

بالصادق والأمين! فهؤلاء العلماء الأكابر ممن طَعن فيهم هؤلاء الأشرار ليسوا بأفضل من رسول الله ﷺ.

أخواتي الداعيات والمراقبات الفاضلات:

ظهرت علينا جماعات من بني جلدتنا ويتكلمون بكلامنا للأسف الشديد، فالذي علينا أنا وأنتِ إظهار فسادهم وبيان شرهم للعوام، فوالله ثم والله لا خير فينا إن لم نقم بهذا الواجب.

هناك دول وليس فقط جماعات تكمن العداء لهذه الدولة، لم يَرق لبعض الدول أن تكون المملكة العربية السعودية على التوحيد والسنة، فبدأت تدخل عندنا جماعات، مثل جماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ، ومثل جماعة السرورية، وغيرها من الجماعات.

وأُم الفرق المعاصرة هي جماعة الإخوان المسلمين، بدأت هذه الجماعة بالدخول علينا منذ ما يقارب الستين عاماً أو نحو ذلك تقريباً، من مؤسسها حسن البنا، والتي استمدت أفكارها من الخوارج، وسلوكها من الصوفية، وأظهروا محاربتهم لليهود والقضية الفلسطينية، وترك الكلام عن البدع وأهلها، فتأثر بها بعض العوام من الناس، الجهال منهم، وحمى الله البعض من أفكارهم، ومن خالفهم أو حذر منهم نعتوه بأبشع الألقاب، وخوفوا الناس منه حتى لا يأخذوا الحق منه، ثم جاء تلميذه الضال المضل سيد قطب، فوالله لو أن مسلماً سليم الفطرة قرأ كتبهم واطلع على منهجهم لما انغر بهم ولعرف خبثهم.

جماعة الإخوان سرطان تغلل بين بعض فئام المسلمين، نشروا بينهم البدع والشركيات والأفكار المجانبة لشريعة الإسلام، حتى أنهم قالوا عن الذي يتكلم عن ولاة الأمور في العلن بطل لا يخاف في الله لومة لائم! عجييب أمرهم! أما قرؤوا قول النبي ﷺ: «**من أرادَ أن ينصَحَ لِذي سلطانٍ فلا يُبدِه علانيةً، ولكن يأخذ بيدِه فيخلُو به، فإن قبلَ منه فذاك،**

وإلا كانَ قد أدَّى الذي عليه»[1]، لكنهم جهال وإن تأبطوا الكتب، ضلال وإن كان ظاهرهم الصلاح وقصروا الثياب.

وكما قال الشيخ ابن باز -رحمه الله- عندما سأل عن حركة الإخوان المسلمين: "حركة الإخوان المسلمين ينتقدها خواص أهل العلم؛ لأنه ليس عندهم نشاط في الدعوة إلى توحيد الله وإنكار الشرك وإنكار البدع، لهم أساليب خاصة ينقصها عدم النشاط في الدعوة إلى الله، وعدم التوجيه إلى العقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة"[2].

وكانوا ينتقون من يصلح لهم من أعضاء جماعة التبليغ التي تحمل الكثير من سموم الصوفية، جماعة التبليغ أصبحت كالمزرعة، تأتي بأعضاء جدد لهم من أوكار المعاصي أو المخدرات والسجون؛ ليعينوهم على الهدم والدمار، لا بارك الله فيهم جميعاً.

جماعة الإخوان -لا كثرهم الله- انشق منهم جماعات أخرى ضالة ومضلة تلبس لباس السلفية وتحمل شعارات الإسلام، يحملون راية التوحيد وهم أبعد الناس عن التوحيد، يلبسون الثياب السنية في الظاهر أما البطانة فهي إخوانية، جاؤوا بأسلوب أدهى وأمر، تلونوا ليستميلوا قلوب الناس، ليتغلغلوا بين الناس، كالسرورية نسبة إلى مُحَمَّد سرور زين العابدين.

السرورية نسبة إلى مُحَمَّد سرور زين العابدين، وهو سوري، انشق عن جماعة الإخوان، هو أظهر أنه منشق عنهم، وقد يكون انشق عنهم لأسباب تنظيمية لا منهجية، والصحيح

١- رواه أحمد في مسنده (٤٠٣/٣) (ح/١٥٣٦٩)، وابن أبي عاصم في (السنة) (١٠٢/٣) (٩١٠)، والطبراني في (مسند الشاميين) (٩٤/٢) (٩٧٧).

٢- مجموع الفتاوى (٤١/٨).

كان انشقاقه لمصلحة الإخوان، من ألاعيب الإخوان، لأن الإخوان متلونين، كذابين، وصدق الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عندما قال: "إن الإخوان ليتخذون من الدين كذباً".

فهذا الخبيث الضال المضل مُحَمَّد سرور، كان من الإخوان المسلمين وانشق عنهم لاحقاً، ويسمى التنظيم أيضاً السلفية السرورية أو التيار السروري أو السرورية، ويعرف أحياناً بالتيار الصحوي، تنظيم حركي موجود وحي ومتحرك ومؤثر، تبنوا منهج سري، ظاهرهم السلفية ويستدلون بالنصوص الشرعية لأجل أن يثق فيهم الناس، أما باطنهم فهم يكمنون العداء، ويسعون إلى الفساد، مستغلين ثقة الناس بظاهرهم، فهم تبنوا ما يسمى الثورات والربيع العربي، وتحريض الشعوب على حكامها، يقول الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "خطر السرورية أشد من خطر المخدرات والأوبئة والأمراض". نعم، أشد فتكاً، لأن تلك هلاك للأبدان، والسرورية هلاك للأديان، وشتان ما بين الهلاكين، أليس كذلك؟

كيف أثروا في الناس؟ عن طريق أكتاف السلفية، صاروا يوهمون الناس أن لهم عناية بالتوحيد والسنة، فاعتنوا بها قليلاً لأجل التقية، لأجل أن ينالوا ثقة الناس، لأن هذه البلاد -ولله الحمد- تأسست على التوحيد والسنة، فالناس تشربوا منها، فهؤلاء الخبثاء ظهروا بلباس السلفية، مِن قال الله وقال الرسول، وقال الشيخ ابن تيمية وقال الشيخ أحمد بن حنبل، ولكن في المقابل قال الشيخ العالم المربي مُحَمَّد سرور، ونادى وأمر ونهى وكأنه رسول الله! الظاهر السلفية والباطن السرورية، فاستطاعوا أن يكسبوا ثقة البعض من العوام، أما من لديه القليل من العلم لا تنطلي عليهم شبههم ولا سمومهم ولله الحمد.

هؤلاء الضلال الولاء لمشايخهم، التعصب لآرائهم، يقدمون الآراء والأهواء على نصوص الكتاب والسنة، بل يلوون نصوص الكتاب والسنة، يؤولونها بحسب ما تقتضيه

مصالحهم، حتى أني سمعت عن داعية مشهورة تحمل شهادة الدكتوراه في السنة تقول: "نفسي أشطب من القرآن والسنة نصوص طاعة ولي الأمر".

المشكلة والكارثة هذه المرأة كان يشار إليها بالبنان، والبعض يلقبها بالصحابية! ولها أتباع بالملايين، ولكن -ولله الحمد- أظهر الله عوارها، وكفى الله المسلمون شرها، ومنعت وأُوقفت، ولكن العجيب أن مِنَ النساء مَنْ قالت مسكينة، والله أنتم المساكين، قالوا عنها مظلومة، أسيرة، والله أنتم الأسراء، أسروا عقولكم تلك الجماعات، قالوا الدولة تحارب الدين، تحارب الدعوة! سبحان الله!

أنتن الآن في الوزارة، وهذا الميدان يا حميدان، هل الدولة أوقفت الدعوة إلى الله؟ هل حاربت أهل الدين؟ لا والله، ومن قال نعم فبلسانه، ولكن بقلبه يعلم أنه كاذب، لأن عنده هدف، أهدافهم سياسية، أهدافهم الوصول للحكم، أهدافهم السيطرة على الكراسي.

الدولة ما حاربت الدين أبداً، بل قننت الدعوة، حاربت أعداء الدين نعم، وكلنا نحارب أعداء الدين أليس كذلك؟ لكن لأن البعض لا يعرف الخبايا ويرى الظاهر فقط فيظن ظن السوء، لكن الدولة تنبهت للخبايا، حاربت الفرق الضالة، حاربت من حارب ديننا منهم، حاربت ومنعت المجرمين المتسترين منهم، حاربت من قال الرسول ﷺ اقتلوهم كما أمر بقتال الخوارج، لأن شرهم مستطير، فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ**

فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]. أحدَاثُ الْأَسْنَانِ: صِغارُ السن، سُفَهاء الأَحْلامِ: ضُعَفاءُ العُقولِ، يَمْرُقُونَ: يخرجون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَالْخَوَارِجُ الْمَارِقُونَ الَّذِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِهِمْ قَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَاتَّفَقَ عَلَى قِتَالِهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَلَمْ يُكَفِّرْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ الصَّحَابَةِ، بَلْ جَعَلُوهُمْ مُسْلِمِينَ مَعَ قِتَالِهِمْ.وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ عَلِيٌّ حَتَّى: سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَاتَلَهُمْ لِدَفْعِ ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، لَا لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ، وَلِهَذَا لَمْ يَسْبِ حَرِيمَهُمْ وَلَمْ يَغْنَمْ أَمْوَالَهُمْ"[2].

الخوارج فرقة يرأسهم عبدالله بن سبأ، وقد أخبر عنهم النبي ﷺ بأنهم: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الإسلام مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ »، وأنهم: «كِلَابُ النَّارِ».

لقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي عليه الصلاة والسلام في ذمّ الخوارج، منها ما روي عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْدِلْ! فَقَالَ: «**وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. **فَقَالَ**: «**دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[3].

١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الديات، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، (ح/٦٩٣٠)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج، (ح/١٠٦٦).

٢ - مجموع الفتاوى (٣/٢٨٢).

٣- رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، (ح/٣٦١٠). ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، (ح/١٠٦٤).

وقد عرّفهم النبي ﷺ بعلامات، وأخبر أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، ووعد من قاتلهم وأراح المسلمين من شرهم وفتنتهم، بخير عظيم، وأجر كبير.

وأنبتت تلك الفرقة فرق ضالة منها الإخوان، التبليغ، السرورية، وغيرها، وهؤلاء مختلفون في بعضهم بعضاً في تنظيماتهم، ولكن مجتمعون على العداء للتوحيد والسنة، مجتمعون في التلون والتقية، متحدون على العداء للدولة، لا بارك الله فيهم ولا كثرهم الله.

أسأل الحاضرات سؤال وكنَّ منصفات، قبل عدة سنوات، كيف كانت الدعوة هنا، هل كان هناك دعوة للتوحيد أو السنة؟ أتكلم أنا على مستوى الداعيات التي كن في الساحة، أم كانت الدعوة فقط منصبة على العباءة، وعلى النمص، وعلى لبس البنطال، وعلى القصص والمنامات، والكرامات؟ أين دعوة الناس للتوحيد والسنة منهن؟ لا يوجد؛ لأنهن لم يدرسن أصلاً التوحيد والسنة بفهم سلف الأمة، وفاقد الشيء لا يعطيه، وإذا درسن التوحيد والسنة بفهم سلف الأمة لحاربهم من حضر لهم، لكن أهدافهم سرية وتنظيمات سرية فيما بينهم.

وحدث معي شخصياً موقف، عندما أردت أن أطلب العلم وأطلب دراسة التوحيد تحديداً؛ استشرت إحدى الداعيات المشهورات –اسمها رنان– عن رغبتي بدراسة التوحيد، فوالله الذي لا إله إلا هو ما نصحتني في دراسته، بل نصحتني بدراسة اللغة العربية لأجل تساعدني بالدعوة! الآن الرسول ﷺ قضى عمره كله بالتوحيد ونشر التوحيد وتعليم التوحيد إلى آخر رمق من حياته وهو ﷺ يدعو إلى التوحيد، الرسول ﷺ ثلاثة عشر سنة فقط في بداية الدعوة يدعو للتوحيد، وبعد أن نزلت بقية شرائع الإسلام أيضاً استمر بدعوة الناس للتوحيد مع بقية شرائع الإسلام، لماذا؟ لأن التوحيد هو الأساس، هو الأصل، ولا سبيل لدخول الجنة إلا بالتوحيد الخالص، إلا بالإسلام الصحيح، لا سبيل لدخول الجنة إلا بالإسلام الذي أنزله الله على نبيه مُحَمَّد ﷺ، لا بالإسلامات المنتشرة الآن، الإسلام واحد، واحد، الإسلام الصحيح هو الذي جاء به مُحَمَّد ﷺ من الله تعالى، أما

الإسلامات الموجودة الآن فهي دعوى فقط، الإسلام ليس كلمة تقال، ليس دعوى، إنما لابد من العمل بمقتضاها، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال ابن القيم رحمه الله في منزلة المحبة في مدارج السالكين: "لما كثر المدّعون للمحبة طولبوا بإقامة البيّنة على صحة الدعوى، فلو يعطى الناس بدعواهم لَادَّعَى الْخَلِيُّ حُرْقَةَ الشَّجِيِّ، فتنوع المدَّعون في الشهود، فقيل: لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه"[١].

موقف آخر حدث معي شخصياً؛ في بدايات طلبي للعلم منذ ثلاثين عاماً تقريباً، كنت كغيري من الذين هم على الفطرة الذين يظنون أن الإسلام كله واحد، ولا يعرفون عن الفرق شيئاً، والذي يعرفونه أن هناك متدين وغير متدين، أو متدينة وغير متدينة فقط، وبدأت بطلب العلم ولله الحمد من دروس الشيخ صالح الفوزان حضورياً، وعبر الأشرطة، وفي نفس الوقت كانت تربطني علاقة قوية ببعض الداعيات المشهورات الذين هم في الساحة في ذلك الوقت ولا وجود لغيرهن؛ لأن غيرهن ممن هن على الجادة منبوذات منهن، فعندما لمسن رغبتي الجادة في العلم وعرفنَ حبي للعلم التففنَ حولي، وحاولنَ تنحيتي عن طلب العلم، فحاولنَ اشغالي بالدعوة بحفظ بعض المحاضرات وإلقائها، ووالله كنت أقول لهن: كيف ألقي والله يقول: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أقول لهن: لابد من العلم أولاً ثم الدعوة، كيف أدعو الناس وأنا لم أطلب العلم، كانوا يقلن لي أهم شيء أن تنصحي الناس! أنصحهم بماذا؟ أهم شيء عندهن يلبسن العباءة على الراس، ويتركنا النمص، والله

١- مدارج السالكين (١٠/٣).

المستعان. الشاهد اتصلت علي واحدة من طالبات إحدى الداعيات وكانت مقربة منها جداً، اتصلت بي وقالت لي بلهجة مملوءة بالسعادة والفرح، يا هيفاء اختاروكِ مع خمسة أو ستة من الطالبات فقط لدرس خاص! سري! كيف؟ ولماذا؟ في إحدى الدور التحفيظ الفلاني–تابع لهن– عندما ينتهي الدوام ويُغلق نجتمع هناك لدرس خاص سري، ومن شروطه عدم الإفصاح عنه! لماذا؟ لأنك عندك قابلية للدعوة، لأنك ممكن تصبحين شخصية مؤثرة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء! سبحان الله، قال أحد السلف: "إذا رأيت القوم يجتمعون في الخفاء فاعلم أنهم أصحاب بدعة"، قلت: لماذا في الخفاء؟ أليس الدعوة لجميع الناس؟ أكان الرسول ﷺ بعد أن أظهر الله الدعوة يدعوا ناس دون ناس! أو يقرر مسائل لأناس ويترك الآخرين جهل لا يبلغهم العلم؟! قال، لا لكن هناك أمور ومسائل لا تصلح للعامة، ولا يتقبلها العامة فلابد من التنظيم لها لإقناع الناس بها! عجيب سبحان الله.

ومن وقتها عرفت أنهم من أصحاب البدع، ومن أصحاب التنظيمات السرية، من أصحاب التلون والتقية، وبعدها –ولله الحمد– لزمت دروس العلماء الربانين السائرين على هدي سيد المرسلين، وسَّلمني الله منهم ومن سمومهم، وبدأت بدعوة الناس على الطريقة المحمدية، دعوة الناس على الدعوة السلفية الوسطية القائمة على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، لا بفهم هؤلاء المتخلفين نعوذ بالله منهم ومن مناهجهم ومن أفكارهم الضالة، ونسأل الله أن يعيذ أبنائنا منهم أيضاً والمسلمين أجمعين.

ألم يقل الرب في محكم كتابه: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿**سَبِيلِ رَبِّكَ**﴾: يعني الملة الحنيفية السمحة، والحكمة: الطريقة السديدة الرشيدة الموافقة للكتاب والسنة.

عندما بدأت تظهر ثمرات دعوتهم من التفجير والمظاهرات ونشر البلبلة وزعزعة الأمن نبهتهم الدولة، والخروج على ولاة الأمر بالسيف أو بذكر معايبهم وتوريم القلوب تجاههم، ليحققوا أهدافهم بالمظاهرات والثورات والطعن في ولاة الأمر والعلماء، وخلع البيعة منهم

ومبايعة رؤوسهم قطع الله رؤوسهم. قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَلَعَ يدًا مِنْ طاعةٍ، لقيَ اللهَ يومَ القيامةِ لا حجةَ له، ومَنَ ماتَ وليسَ في عُنُقِهِ بيعة، ماتَ ميتةً جاهليةً**»[1].

قال ابن باز –رحمه الله–: "يعني: ما يسمع ويُطيع، يعني: يُخالفهم في الأوامر، مثلًا يقولون له: لا تُخالف الطريق، امشِ على التَّعليمات في الطريق، ويُخالفهم، أو يأمرونه بما أمر الله به ويُخالفهم، وهكذا"[2].

والله إن الدولة كانت حليمة معهم جداً، فحذرتهم ونصحتهم مراراً وتكراراً، فأبى البعض أن يرجع للحق بعد النصح، فلما عوقب قال أتباعهم الدولة تحارب الدين وتحارب المتدينين، وللأسف صدَّق كلامهم بعض الجهال من عوام الناس! لأن ظاهرهم الصلاح، لأنهم يقولون قال الله وقال الرسول، يصلون ويصومون كثيراً، يقرؤون القرآن ليلاً ونهاراً، لذلك انغر بهم بعض الناس، روى مسلم في صحيحه[3] عن زَيْد بْن وَهْبٍ الْجُهَنِيّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ ﷺ، الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإسلام كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**».

فالغالبية الساحقة من الناس لا يعرفون أهداف هذا التنظيم الحركي، ولا يعلمون أنه يخدعهم ويستعبدهم باسم "الدين" والدين بريء من التنظيم ومما يسعون إليه. أما الآن –ولله الحمد– أصبح هناك وعي، تمييز، لكن ما زال هذا الأمر ملتبس عند بعض النساء، فالواجب عليكن إزالة هذا اللبس أو الغشاوة من أعين الناس، عليكن بإزالة هذا الفلتر

١– رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، (ح/١٨٥١).

٢– مفرغ من صوتية للشيخ ابن باز رحمه الله، للاستماع لها على الرابط: https://cutt.us/T1DLl

٣–كتاب: الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج، (ح/١٠٦٦).

الذي تزينت به هذه الفرق الضالة، فلتر؛ ظهروا بمظهر غير حقيقي للناس بينما فلو كشفتن للناس الوجه الحقيق لهم لما انغروا بهم.

لما توفي الضال مُحَمَّد سرور العابدين نعاه الإتحاد العالمي الإخواني ومقره في قطر، ويرأسه القرضاوي -قرض الله لسانه كما قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله-، وصف مُحَمَّد سرور بالمربي! نعم، ونقول هو مربي السوء، مربي الضلالة، المربي الخطير، المربي على الانحرافات والضلالات، عامله الله بما يستحق.

وإن توفي الضال فمذهبه وأفكاره باقية، وتلاميذه الذين تشربوا منه ودرسوا على يديه باقين لا كثرهم الله، لهم جهود في الخفاء، يربطون الناس بكتبه وكتب سيد قطب، فدعوتهم قطبية بلبس جديد، قطبية نسبة إلى سيد ومُحَمَّد قطب عاملهم الله بما يستحقون.

ووالله لو كانت هذه الدعوات فيها خير لأصلحت في بلادها، انظروا إلى الشرك والقباب والأضرحة في بلدانهم، ولم يستطيعوا أن يصلحوا شيئاً منها! بل ليس لهم دعوة في التوحيد، إنما للتحريض والدعوة للمظاهرات التي كانت سبباً في انهيار كثير من البلدان، دعوة في توريم القلوب تجاه ولاة الأمور والعلماء الربانين السائرين على هدي سيد المرسلين ﷺ.

ولله الحمد الدولة المملكة العربية السعودية تنبهت لخطر هذه الجماعة، فأصدرت بياناً وقراراً من وزارة الداخلية بأن جماعة الإخوان المسلمين جماعة إرهابية، وعلى هذا ينبغي نحن أن نعتبر هذه الجماعة جماعة إرهابية، ويدان ويُجرَّم كل من تعاطف معها، أو دافع عنها، أو أثنى عليها، أو نشر كتبها ومبادئها.

روى الترمذي في سننه[1]، مِن حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»**. أي: هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي، أي: اتباع النبي ﷺ.

هذا الحديث عظيم جداً وكفيل أنْ إذا سمعناه أن نخاف لِنسلم، **نسلم من ماذا؟** من النار! «**كُلُّهَم فِي النَّارِ**»، يقول الرسول ﷺ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**». **إذاً**: «**ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**». نطرح واحدة من ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، سيصبح المجموع اثنان وسبعون مِلَّة، أخبر الرسول ﷺ أنها متوعدة في النار، وواحدة فقط هي ناجية، نسأل الله أن نكون منهم.

سؤال أوجهه للحاضرات والمستمعات:

أليس لكل فرقة من تلكم الفرق لها علماءها ومشايخها؟

أليس لكل فرقة من تلك الفرق لها كتبها التي تحمل فكرهم ومبادئهم؟

أليس لكل فرقة من تلك الفرق لها فتاويها الخاصة بها المجانبة للسنة؟

أليس لهم قنواتهم المرئية والمسموعة السّامة التي تحث على الفرقة، وعدم الاجتماع على الكتاب والسنة، وتدعوا إلى الخروج على ولاة الأمور؟

أليس لهم مواقع في وسائل التواصل الحديثة التي غزت البيوت؟

١- سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، (ح/٢٦٤١).

نعم، والله المستعان، إذاً الأمر خطير؛ فهناك فرق وجماعات وأحزاب تزعم أنها جماعة المسلمين وهم عنها ببعيد، فعلينا جاهدين ومجتهدين أن نَحذر ونُحذر من كل تلك الفرق التي افترقت عن جماعة المسلمين ودعوة الناس بعدم الإنغرار بهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "شعار أهل البدع ترك انتحال اتباع السلف"[١].

أحبتي في الله أليس كونُ الولاء والبراء لتلك الفرق والجماعات مقدماً على الكتاب والسنة من أكبر البلاء؟ نسأل الله السلامة والعافية!

جماعة التبليغ كانوا يتبجحون بدعوتهم المنحرفة في كل مكان، واستطاعوا أن يستميلوا فئة من الشباب، فغرسوا فيهم الحماس، وأهملوا جانب العلم، فوقعوا في الدمار، وكلنا نعرف ونرى الدفاع المستميت من الإخوان عن جماعة التبليغ، وإن دل على شيء فإنما يدل على أنها نبتة منهم، أعاذنا الله منهم، والحمد لله الذي كشفهم وأظهر عوارهم لمن أراد الحق وترك التعصب لمشايخهم ولمن أراد الله به خيراً.

وكلنا رأينا بأم أعيننا ما فعلت داعش من الأمور المخزية في هذه البلاد -وفي كل البلاد- من تفجير وقتل وتدمير، حتى المساجد ما سلمت منهم، بيوت الله ما سلمت منهم، فجروا المساجد على الساجدين في أيام الجمعة في بيوت الله، سجد! أين دين هذا؟

بل والله وصل شرهم إلى المسجد النبوي بالتفجير والعياذ بالله، وصل الأمر إلى غسيل شامل للأدمغة، فقتل الولد أمه وأبيه قربةً إلى الله والعياذ بالله، قتل الولد ابن عمه باسم الدين! يتوسل إليه (يا سعد يا سعد) بأن لا يذبحه، ولكنه يظن نفسه البطل المقدام المجاهد في سبيل الله، فيقتله دون أدنى رحمة قربة إلى الله! وأي دين هذا؟

١- مجموع الفتاوى (١٥٥/٤).

كنَّا في وقت من الأوقات نخاف على أبنائنا من الالتزام بسببهم، لأنهم تلبّسوا بثياب الاستقامة ليستروا بها نواياهم، يدَّعون أنهم على الحق، وهم يتخبطون في مستنقعات الباطل، ويستشهدون بآيات من الكتاب ويتقنون قراءته وهم أبعد الناس عن تدبر وفهم آياته، ويستدلون بسنة النبي مُحَمَّد ﷺ وهم أكثر الناس مخالفة له، ويدعون أنهم أهل الجهاد والدفاع عن الإسلام ليغرروا بإخوانهم، وهم في الحقيقة ليسوا إلا أداة سلطها أعداء الإسلام على بلاد كانت لهم المأوى والسكن.

سؤال: كيف أميزهم أو كيف أكشفهم أو كيف النجاة منهم؟

- من يأتي بأسماء هؤلاء الضلال ويزكيهم ويثني عليهم ويأتي بأسماء الرؤوس مع علماء المسلمين وكأنهم على نفس المنهج، فمثلاً يقول: قال الشيخ ابن تيمية والشيخ سيد قطب كذا وكذا، والله فرق بينهما كما بين الثرى والثريا، فاعلمي أن هذا ضال يريد أن ينال منك ويلبس عليك.

- طلب العلم الشرعي على أيدي علماء الحق لا علماء الصحوة، على أيدي العلماء السائرين على نهج الرسول ﷺ لا على نهج متعالميهم، فإن العلم من أهم أسباب الثبات على الدين وخاصة في زمن الفتن.

وتحذير الناس من عدم الانغرار بكثرة المتابعين ولا بكثرة العدد لفلان من الناس، الكثرة لا تعني شيئاً أبدا، يأتي النبي ومعه الرجل والرجلان، ويأتي وليس معه أحد، وهو نبي! الحق مع الدليل لا مع عدد الناس، ومن سنن الله في خلقه: أن أهل الحق في جنب أهل الباطل قليل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وقال: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

وقال: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "ودلت هذه الآية، على أنه لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وأجراً، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل، بالطرق الموصلة إليه "(١).

قال الفُضيل بن عِياض -رحمه الله-: "الزمْ طريقَ الهدَى، ولا يضرُّكَ قلَّةُ السالكين، وإياك وطرقَ الضلالة، ولا تغترَّ بكثرة الهالكين"(٢).

فالحق والصواب يعرف بموافقة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف هذه الأمة، لا بكثرة العدد، ولا بكثرة الأتباع في تويتر ولا غيره، ولا بكثرة الظهور والشهرة.

الدعاء، الدعاء من أعظم الأسلحة التي تنجي من شرورهم، الدعاء من أهم الأمور التي ينبغي عدم الغفلة عنه، الدعاء سلاح المؤمن، هل تعلمن ما أكثر دعاء النبي ﷺ؟ «يا مقلب القلوب ثبت قلي على دينك»، فعن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: **«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»**(٣).

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: **يا رسول الله، إنك تُكثر أن تدعو بهذا الدعاء؟ فقال ﷺ «إِنَّ قَلْبَ الْآدَمِيِّ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عز وجل فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ»**(٤).

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢٧٠).

٢- الأذكار للنووي (صـ٢٢١)، الاعتصام للشاطبي (١/٨٣).

٣- رواه الترمذي في سننه، أبواب القدر، باب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، (ح/٢١٤٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/٣٧).

٤- رواه أحمد في مسنده (٤١/١٥١) (ح/٢٤٦٠٤).

أكثري من (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ) أَيْ: الدَّوَامَ عَلَى الدِّينِ وَلُزُومَ الِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ، نحتاج نحن إلى الثبات في خضم هذه الفتن، فالشبه خطافة، والشبه محيطة بنا، غزت البيوت عبر وسائل التواصل الحديثة، والإنسان مادام على وجه الأرض لا يأمن على نفسه الفتنة، فالقلوب ضعيفة والإقبال على العلم أصبح ضعيفاً، ودعاة الشر في كل مكان، والشيطان في المرصاد، ألحي على الله بالهداية والاستقامة على الحق حتى الممات، اطلبي من الله الحق، اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، أكثري من الدعاء أن يعيذك من شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، ومن أهل الفتن، نسأل الله أن يكفينا شرور أنفسنا، ومن شياطين الإنس والجن، وأن يثبني وإياكن على التوحيد والسنة حتى الممات.

فأقول ولا أطيل عليكن؛ يا داعية السنة، يا من أنتِ على ثغر الآن؛ نحنُ أمام هجمات شرسة، تريد النيل من هذا الوطن ومن هذه البلاد، فكوني عون لبلدك، كوني الجندي المجهول للدفاع عنه، دافعي عن بلدك حماية لأبنائك من دعوات الغلو والتطرف، فما جرَّمتهم والله الدولة إلا بعد أن استشعرت خطورة مثل هؤلاء في هذا الوطن. فالواجب علينا جميعاً، كباراً وصغاراً، وطلاباً وأساتذة، وعواماً وطلاب علمٍ؛ أن نبذل قصار جهدنا، لمحاربة هذه الأفكار والأحزاب والجماعات، أقول ومن غير مبالغة: لابد من الجد والاجتهاد، والتحرك لمقاومة هذا الفكر الضال وفضح كل من يتبناه أو يدعو إليه، والجميع مسؤول أمام الله تعالى عن ذلك، ابتداء من الأسرة إلى الدعاة والوالدين والمربين وأنتن خاصة تتبعن وزارة الشئون الإسلامية فهي من أهم القطاعات التي تعنى بهذا الأمر.

والله في مثل هؤلاء ومكرهم في هذه البلاد يطول الحديث، نسأل الله أن يكفينا شرهم.

وأذكر نفسي وإياكن بالنعم التي نتقلب فيها، وأولاها نعمة الإسلام، أعظمها أن جعلنا من عباده المسلمين، ثم بنعمة الأمن والأمان، فوالله إن الله قد حبانا بأمن وأمان نحسد عليه من قبل الكثيرين، فاحفظوا نعم ربكم بشكره عليها، فنعمة هذا الوطن الذي نعيش فيه عظيمة، التي قال عنها الشيخ ابن باز -رحمة الله-: "إن التاريخ الإسلامي بعد عهد الرسالة والراشدين لم يشهد التزاماً تاماً بأحكام الإسلام كما شهدته الجزيرة العربية في ظل الدولة السعودية التي أيدت هذه الدعوة ودافعت عنها"(١).

واضرب لكن مثالاً واحداً بسيطاً؛ نحن عندما نسافر من الشرق إلى الغرب ومن الشمال للجنوب في المملكة لا نحتاج إلى حراسات تتابعنا في سفرنا، بينما كان العهد قبل قيام الدولة السعودية وهذا يذكره (ابن بشر) في تاريخه؛ كان أحدهم إذا أراد أن يسافر من الرياض إلى مكة يطلب الأمان من أهل ضرمه، فإذا وجد الأمان تحرك، ثم إذا وصل ضرمه يطلب الأمان من أهل مارات، ثم من أهل شقراء، ولا يتحرك من بلد إلا أن يأخذ الأمان من البلد الذي يليه، فلا يكاد يصل مكة إلا في شهر أو أكثر.

اليوم ما نحتاج إلى هذا كله إلا أن نركب السيارة، ونقول: (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين)، ونتوكل على الله، فإذا ركبتي أنتِ وأبناؤك السيارة في تلك الطرق الطويلة الممهدة الآمنة، والتي فيها كل ما نحتاجه في الطريق من محطات ومن تعليمات ومن أرقام في حال الطوارئ؛ فذكري أولادك، قولي لهم يا أولادي: "لولا الله ثم الملك عبدالعزيز ورجاله ما استطعنا نمشي بالصحاري بهذا الأمان"، ولكن للأسف؛ نجد بعض الناس ليس له هم إلا أن يتذمر ويتشكى ويسب ويشتم وهو مع أبنائه طيلة الطريق حتى يصل إلى وجهته، فلا يصل إلا وأبناءه قد شُحنوا بغض وكره هذا الوطن!

١- مجموع الفتاوى (١/٣٨٠).

أخواتي؛ بلادنا حباها الله بالتوحيد ونبذ الشرك، بلاد حباها الله بنشر السنن وقمع البدع -ولله الحمد- وأسأل الله أن يديم هذه النعمة، والله إنها نعمة لا يقدِّرها إلا فاقدها، انظروا لمن حولكم وما يعانون من النكبات وويلات بسبب علماء السوء، أنظروا إلى الآثار المترتبة على الخروج على ولاة الأمور من انعدام الأمن والقتل والتشريد والاغتصابات وانتشار الفقر والأمراض، اصبحوا مشردين ولاجئين خارج بلدانهم، تعلوا وجههم الذلة والعوز، والله إذا فُقد الأمن فلن يبقى شيءٌ سوى المهانة والخوف والذل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يريدون أن تسقط وتضعف الدولة كما سقطت وضعفت غيرها، أنظروا إلى من حولنا من البلدان! أغلبها إن لم تكن كلها تحفها هذه المخاطر وتحفها الفتن، كلها حرائق تشتعل، ونحن -ولله الحمد- في هذا الوطن كالحديقة الآمنة في وسط هذه الحرائق فلله الحمد والشكر والفضل والمنة.

نسأل الله أن يديم علينا نعمة الأمن والأمان، وأن يجزي عنا ولاة أمورنا خيراً، فلهم الفضل -بعد الله- في هذه النعم التي نتنعم بها، ومن علامات أهل السنة والجماعة الدعاء لولاة الأمر، روي عن الفضيل بن عياض -رحمه الله- أنه قال: "لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام"[١]، لأن نفعه متعدي، فصلاحه صلاح الأمة، فالدعاء له من أهم الدعاء، ومن أهم النصح.

قال ابن تيمية —رحمه الله-: "كان السلف -كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما- يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان"[٢].

١- حلية الأولياء لأبي نعين الأصبهاني (٩١/٨)، وانظر: شرح السنة للبربهاري (صـ١١٣).

٢- مجموع الفتاوى (٣٩١/٢٨).

قال البربهاري –رحمه الله–: "إذا رأيتَ الرَّجلَ يدعو على السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيتَ الرجلَ يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنه صاحبُ سُنَّةٍ إن شاء اللهُ تعالى"[1].

علمي أبناءك ورعيتك أن الدعاء لهم من الدين، أنتِ أولاً كوني قدوة لهم، فإذا رأى الأبناء الوالدين محبين لولاة الأمر، طائعين لهم بالمعروف كما أمرنا الله، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء:٥٩]، فسينشؤون بلا شك على حب ولاة الأمر وتوقيرهم، وإذا رأى الأبناء أنكم محبين للوطن سينشؤون على حب الوطن واحترامه.

كوني –أختي الداعية وأختي المراقبة وأختي المسلمة– عنصراً فعالاً في نشر الحق، عنصراً إيجابياً في نشر الدين الصحيح، أدي الأمانة على أكمل وجه، فإنك مسؤولة أمام الله بما أوكل إليكِ.

عَلِّمنَ النساء قِيمة الأمن والأمان الذي نعيش فيه، علِّمنَ النساء أنّ هذا لن يتم إلا بالاجتماع يداً بيدٍ مع أئمتنا، يداً بيدٍ مع ولاة أمورنا.

والله نحمد الله ﷻ على نعمة هذا الوطن الذي نعيش فيه، القائم على الوسطية، القائم على الكتاب والسنة، فالنعم إذا شكرت قرت، وإذا كفرت فرت، الوطن كلمة صغيرة نعم، ولكنَّ معناه عظيم، الوطن الذي نعيش فيه تعلمنا فيه التوحيد والسنة، تربينا بين أناس موحدين، ترعرعنا على قال الله وقال الرسول في المدارس، في الجامعات، في المساجد يدعوننا إلى توحيد الله واتباع سنة رسول الله ﷺ، بلد تحكم فيها الشريعة الإسلامية. وأي نعمةٍ هذه؟ وهل تقدر بثمن؟

١– شرح السنة للبربهاري (صـ١١٣).

وفي الختام؛ أوصي نفسي أولاً؛ ثم أوصي أخواتي المستمعات، وأخص منهن الداعيات بأن تتقين الله، فإن الدعوة إلى الله من أفضل الأعمال، يقول الرب ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

أخواتي الداعيات الفاضلات:

بارك الله فيكن ونفع بكن الأمة، على أعتاقكن أمانة أُوكِلَت إليكن؛ فَأَدِّينَ هذه الأمانة على أكمل وجه، لقد أنعم الله عليكن بفضل نشر الحق، بفضل نشر المنهج السليم الصحيح بين النساء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

تلا الحسن: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، قال: "هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحبّ الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، فهذا خليفة الله"[(١)].

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا بحفظه، وأن يحفظ هذه البلاد بحفظه، ويكفينا شر الأعداء من الأحزاب والجماعات الإرهابية، ممن يكيد لهذا الوطن الغالي، وأن يديم علينا نعمة الأمن والأمان التي لا تقدر بالأثمان، وأن يرزقنا الوسطية في الدين وأن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وجزى الله خيراً من أعان على هذا اللقاء،وأخص معالي الشيخ عبداللطيف –حفظه الله– على جهوده الواضحة الجلية في نشر الدعوة السلفية، وجزاكن الله خيراً أخواتي وبناتي الحبيبات على حسن الاستماع، والحمد لله، والصلاة على رسول الله ﷺ، والسلام عليكن ورحمة الله وبركاته.

١– جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٢١/٤٦٩).


تمت